من سلسلة "قصص مفيدة"

شرود أريج

من سلسلة "قصص مفيدة"

شرود أريج

موافقة مشيخة العقل

بتاريخ ٢٠١٦/٤/٤

منشورات

المجلس المذهبي لطائفة الموحّدين الدروز

اللجنة الدينيّة

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

١٤٣٦هـ – ٢٠١٦ م

تأليف:
عبدالله التيماني

رسم: شادي خدّاج
إخراج: ريما وهبي

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين. والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين وخاتم النبيّين وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدِّين.

إنَّ بناء مجتمع توحيدي إسلامي على أسس قويمة وصحيحة يحتم علينا العمل على توعية الأجيال الصاعدة وصقل أذهانهم وأفكارهم بما يتناسب مع ثقافتنا وتقاليدنا وأعرافنا، ومن هنا كان توجه اللجنة الدينية في المجلس المذهبي لطائفة الموحدين الدروز وبمباركة مشيخة العقل إلى وضع خطة جدية للعمل على تحقيق هذه الغاية، وكانت الانطلاقة في تأليف مجموعة قصص قصيرة، هادفة ومفيدة، تساعد الأجيال على تلقي الأفكار بطريقة سهلة واضحة وتلبي احتياجات الأهل في توجيه وتربية أبنائهم وتسهم في نشر التعاليم الدينية الراقية وإحياء الأخلاق والعادات المعروفية بأسلوب منفتح.

اللجنة الدينيّة

أحبَّ الطبيعة حبًّا جمًّا، وعلق بها منذ نعومة أظفاره، فنشأ فلاّحًا نشيطًا منح الأرض جهد ساعديه، وروّاها بعرق جبينه، لكنّ الطّبيعة تأبى إلاّ أن تكون وفيّةً سخيّة، فأكرمته بخيراتها الوافرة، ووفّرت له سبل العيش الكريم الهانئ، واستطاع بفضل عطاءات الأرض أن يعمّر دارًا ويبني أسرة.

ها هو الفلاّح حامد اليوم يعيش مع زوجه وولده البكر "أريج" وابنته المدلّلة "عبير". أسرة سعيدة لوّنت المحبّة حياتها بأب عطوف يؤمّن لعائلته الرّزق الحلال وراحة البال، وأمّ رؤوم تغمر العائلة بدفء الحنان وطيب الأمان، وابن مهذّب مجتهد أذكت فيه الطّبيعة الكثير من الحيويّة والنشاط، وابنة متوقّدة الذّكاء مرهفة الحسّ لم يمسح فرط الدّلال عنها مسحة الحياء والتّهذيب.

كان أريج يساعد أباه حامدًا في أعمال الحقل ما سنحت له فرصة، أيّام العطل، أو حتّى بعد العودة من المدرسة، أللهمّ إن سمح له الوقت بعد إتمام واجباته المدرسيّة، فأبوه يتعب كثيرًا، ويحتاج إلى المساعدة، وأريج يحبّ الأرض ويسعده أن يهتمّ بها ويعمل فيها، غير أنّ حامدًا كان يلحظ شرودًا يسيطر على ولده

لفترات غير قليلة، ممّا أثار قلقه عليه، ولقد حاول مرارًا دون جدوى أن يكتشف سرّ ذلك الشّرود، ولم تكن أمّ أريج أقلّ قلقًا من زوجها بسبب شرود وحيدها الحبيب، فهي تراقبه ما استطاع نظرها الوقوع عليه، وتتزاحم التّساؤلات في خلدها كلّما بدت لها تلك الظّاهرة الغريبة، وهو يدرس أو حتّى وهو يلعب.

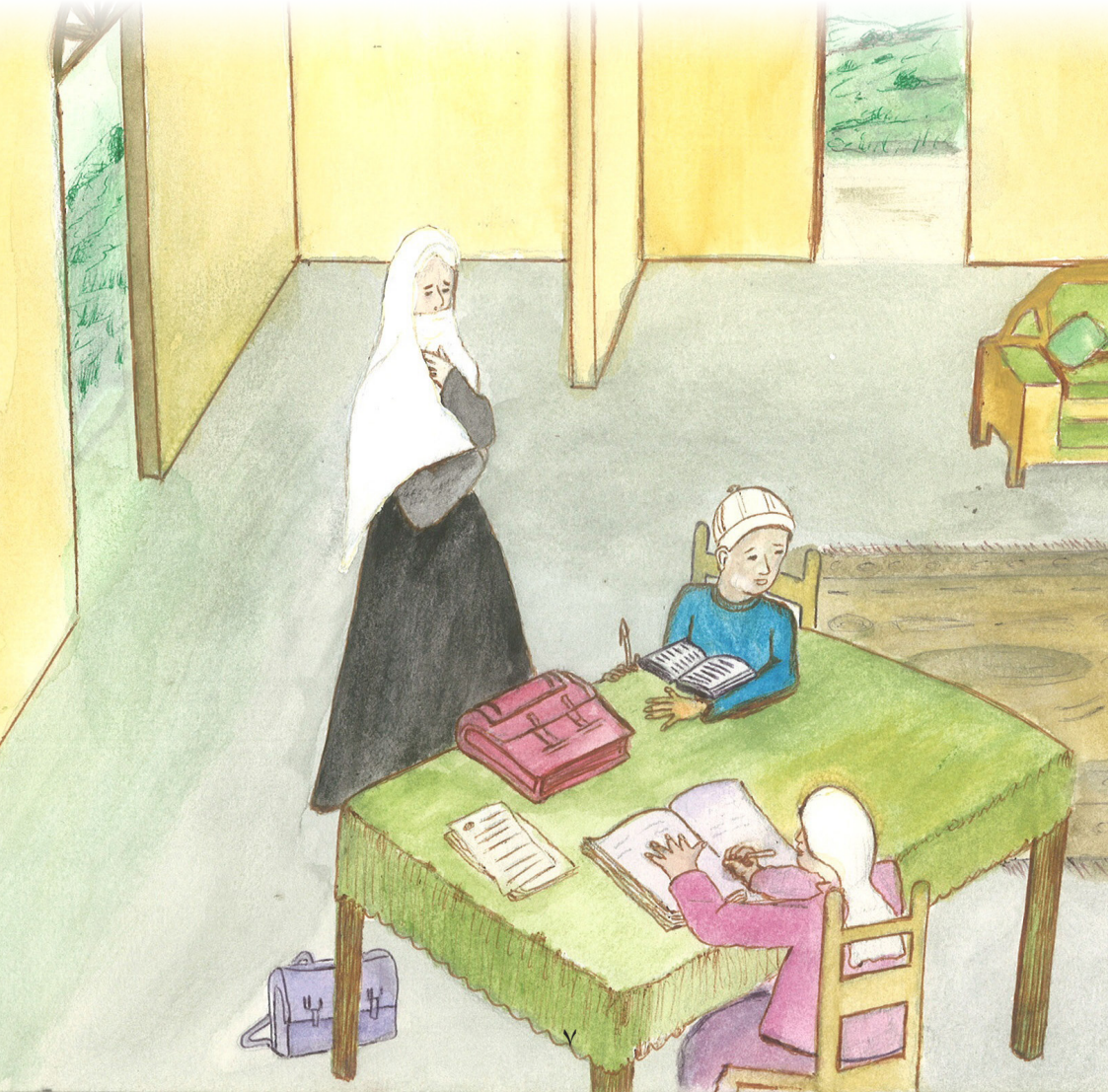

ذات يوم رافقت أمّ أريج زوجها حامدًا إلى الحقل، هناك حيث يستطيع الاثنان التّحدّث على انفراد، فهما يحرصان كلّ الحرص على أن يبحثا في الأمور المُهِمَّة، وفي المشاكل وحلولها بعيدًا عن مسمع الأولاد، وكالمعتاد راحا يتباحثان في شأن أريج وشروده:

الأمّ: غريب أمر هذا الشّــرود! فلقد تكرّر حدوثه مع الصّبيّ في المدرسة، أبلغني بذلك الأستاذ سامي خلال زيارتي إلى المدرسة أمس.

حامد: كنت أتوقّع هذا، وأخشى أن ينعكس ذلك على مستواه العلميّ.

الأمّ: لكنّ الأستاذ سامي نبّهني إلى أمر فسّر لي إلى حدّ ما موقف أريج من أخته عبير خلال حديث جرى بينهما منذ يومين، لقد كان قاسيًا معها حين قال لها: "أيّتها الصغيرة المدلّلة، أتظنّين أنّك أفضل منّي؟! لا يغرّنك اهتمام أبويك بك أكثر من اهتمامهما بي! صحيح أنّهما يحبّانك أكثر منّي، ولكن.."، ثمّ أجهش بالبكاء وهرع إلى غرفته.

حامد: أيغار منها؟!

الأمّ: هذا ما نبّهني إليه الأستاذ، وهذا ما أعتقد بأنّه سبب شرود أريج.

حامد: لكنّه يحبّ أخته كثيرًا!

الأمّ: قال لي الأستاذ إنّ الغيرة لا تنفي المحبّة، وهذا ما يجعل أريجًا يعيش صراعًا في نفسه، فهو يتوهّم بأنّها قد استأثرت بقلبينا دونـــه، وعليه أن يثأر لنفســـه، وأن يســـتعيد عبارات الغنج والدّلال الّتي تحوّلت كلّها لعبير المدلّلة، لكنّ محبّتها تملأ كيانه فتـــثير فيه عطف الأخ الحريص على ســـعادة أخته إلى أبعد الحدود.

حامد: تحليل معقول، وعلينا نحن أن نتصرّف بحكمة كي نخلّصه ممّا هو فيه، إنّه اليوم بأمسّ الحاجة لمساعدتنا.

انقضى اللّيل، وطلعت شمس ذلك اليوم الرّبيعيّ البديع، تغمر بأشعّتها القلوب والدّروب، تتسلّل من النّوافذ إلى البيوت الهادئة الوادعة، تبعث فيها الحياة من جديد، وهذه باقة ذهبيّة من شعاع الشّمس تعانق فراش أريج، تدغدغ جبينه العريض، تمسح بدفئها وجنتيه النّضرتين، وتلملم الغفوة من عينيه الحالمتين، فيفتح أجفانه مستقبلاً نور النّهار بهدوء، ويجلس في فراشه يسبّح ربّه، ويتلو دعاء الصّباح.

أمّا عبير فقد حرصت على الاستيقاظ باكرًا رغم أنّه يوم عطلة، لكنّها لا تحبّ أن تفوتها صلاة جوقات الطّيور وهي تترنّم بأعذب ألحان التّسبيح للخالق العظيم، فسحر الطّبيعة يأسر قلبها الصّغير، لقد نهضت مع نسائم الصّباح ترتّل الدّعاء وتحتفل مع الأطيار والأزهار باستقبال يوم جديد. نهض الجميع، وجاء صوت الأمّ يعلن أنّ موعد التّحلّق حول مائدة الفطور قد حان، فتحلّقوا كعادتهم يتبادلون تحيّة المحبّة والوئام، وتتنقّل ما بين الشّفاه والمسامع عبارات المرح والسّعادة، مفعمة بآيات الحمد للمنعم الكريم.

وبعد الانتهاء من تناول الطّعام قال الأب وهو يستعدّ للانصراف: أنا ذاهب إلى الحقل، ستتبعني إلى هناك يا أريج، أليس كذلك؟

أنا بحاجة لمساعدتك أيّها الشّابّ الفتيّ.

أريج: نعم يا أبي، ولكن ...

الأب (مقاطعًا): ولكن هل أسمح لك بأن تأخذ البارودة معك، فأنت تحبّ أن تقوم بجولة صيد، لا مانع لديّ أيّها الصّيّاد الماهر.

أريج: أشكرك يا أبي.

عبير: مسكينة الطّيور، تملأ حياتنا فرحاً وسماءنا حيويّة وحرّيّة، ونحن نملأ حياتها حزنًا، ونحرمها الحرّيّة والحياة!

أريج: لو كنتِ شابًّا لأحببت الصّيد مثلي، فهو هواية ولا أجمل.

عبير: أنا أحبّ الطّبيعة، وأحرص على المحافظة عليها، والطّيور لها منافع جمّة، فهي مع ما ذكرته، تخلّصنا من كثير من الحشرات الضّارّة وتنقذ مواسمنا.

أريج: الله أحلّ لنا الصّيد، فهل تحرّمينه أنت؟!

عبير: الصّيد محلّل إذا كان القصد منه الغذاء، أو كان وسيلة لكسب الرّزق، لا هواية ليس فيها سوى الاعتداء على الطّبيعة وخيراتها. أنا أرى هواية الصّيد مثل هواية التقاط الفراشات لتحنيطها بدلاً من تركها تقوم بعملها في تلقيح الزّهر من أجل الإثمار، فضلاً عن أنّها تزيّن ربوعنا بألوانها الرّائعة.

أريج: أنسيت يا محامية الطّبيعة، أنّك كنت بالأمس تجمعين باقة من الزّهور؟!

عبير: لا لم أنس، لقد تعوّدت أن أجمع باقة من زهور الرّبيع كلّ عام لأقدّمها هديّة لأمّي في عيدها، لأنّني أشعر بأنّها تعبّر أصدق تعبير عن الحبّ والوفاء، أمّا أنت فتقتنص الطّيور لا لشيء إلاّ لأنّ هوايتك الصّيد! بذمّتك، أما كان أنفع لك لو كنت تدّخر ثمن الذّخائر الّتي تطلقها في الهواء دون جدوى؟!

أريج: أبي لا يعوزني إلى شيء، ثمّ إنّني أشتري الذّخائر من مصروفي الخاصّ.

عبير: إذن يمكنك أن تساعد أحد المحتاجين، أليس ذلك خيرًا لك وأبقى؟!

يلتفت أريج إلى أبويه وكأنّه ينتظر منهما موقفًا. فيجيب أبوه على تلك النّظرات:

الأب: أنتما أخوان صديقان، وأنا لا أحبّ التّدخّل بين الأصدقاء، لا سـيّما أنّني أثق بقدرة الأخ الأكبر على استيعاب أخته الصّغرى.

انصرف حامد إلى حقله، وقامت عبير تساعد أمّها في أعمال المنزل، أمّا أريج فمضى إلى غرفته ليتمّم ترتيبها بعد أن كان قد رتّب فراشه فور نهوضه من النّوم كعادته، ثمّ بدّل ثيابه ومضى إثر والده حاملاً بارودته الغالية، وكتابًا يستمتع بمطالعته تحت السّنديانة العتيقة قبيل الغروب.

انتصف النّهار، وجلس الفلاّحان يتناولان ما في "الزّوّادة" من الأطعمة الشّهيّة وما تيسّر معها من خيرات الحقل، وامتدّت فترة الاستراحة بعد الأكل، فالرّاحة بعد الأكل ضروريّة، والجلسة في فيء السّنديانة العتيقة مغرية لا يستطيع المرء التّخلّي عنها بسهولة؛ وللأب حامد هدف من إطالة الجلوس للتّحدّث مع أريج.

الأب: لفت انتباهي اهتمامك بنصبة الزيتون الجديدة، ولحظت أنّها شغلتك عن الزّيتونة الكبيرة الّتي كنت تعتني بها كثيرًا.

أريج: النّصبة لا تزال صغيرة وهي بحاجة لاهتمام زائد.

حامد: ولكن أيجوز أيّها الفلاّح الطّيّب، أن تهمل الزّيتونة الكبيرة لتهتمّ بالشّجيرة الجديدة؟!

أريج: إنّ انصرافي إلى النّصبة لا يمنعني من الاعتناء بالزّيتونة، فأنا لا أزال أقوم بواجبي تجاهها.

حامد: خطرت لي فكرة .. ما رأيك في أن تمثّل أسرتنا السّعيدة دور الحقل والفلاّح؟ من منّا يشبه شجرتي الزّيتون؟

أريج: أنا كالشّجرة الكبيرة وأختي كالنّصبة الجديدة الصّغيرة.

حامد: والفلاّح هو أنا وأمّك. أتُرانا نقصّر بواجبنا تجاه الزّيتونة الكبيرة؟!

أريج (بانكسار ظاهر): لا يا أبي، ولكنّكما شديدا الإعجاب

بذكاء أختي عبير وبخفّة ظلّها، وهي دائـمًا تشـــاكســـني ولا تحبّني كما أحبّها.

حامد: أنت وأختك زهرتان في حياتنا، وكلّ زهرة لها رائحتها، فمن يشتمّ عبير الفلّ لا ينسى أريج الياسمين. ثمّ لا تنس ما قلتُه لك في الصّباح، أنا أثق بقدرة الأخ الأكبر على استيعاب أخته الصّغرى. لقد طال بنــا الوقت، هيّا ألا تَــودّ القيام بجولتك أيّها الصّيّاد البارع؟

يقول الأب حامد هذا، ويمضي إلى عمله، فيما ينطلق أريج باحثًا عن عصافير يصطادها. وما لبث أن لاحت له عصفورة حطّت على غصن دوحة غنّاء ملتفّة الأغصان، فشدّت كلّ حواسّه، سدّد نحوها فوّهة بارودته، حبس أنفاسه، ضغط بإصبعه على الزّناد، فدوّى صوت طلق ناريّ .. لقد أصابها .. رآها بأمّ عينه تهوي عن الغصن .. لكنّها لم تسقط على الأرض! .. فتّش مليًّا فلم يجد لها أثرًا! .. وقرّر أخيرًا أن يتسلّق الشّجرة بحثًا عن العصفورة الضّحيّة! .. لم يجد صعوبة في العثور عليها، فلقد قادته إليها أصوات عصافير صغيرة، كانت تنتظر أمّها العصفورة لتعود إليها بحبيبات تدرأ عنها ألم الجوع، فإذا بها تسقط بين صغارها وسط العشّ الواقع تحت الغصن الّذي حطّت عليه ثمّ هوت عنه مضرّجة بدمها! .. ذُهل أريج من هول ما رأى، وعصفت في رأسه كلمات أخته عبير .. "ونحن نملأ حياة الطّيور حزنًا ونحرمها الحرّيّة والحياة"، برهة مرّت، خُيّل لأريج فيها أنّ الزّمن قد توقّف، وأنّ النّور اكتسى ثوب حداد، ثمّ أعادته ارتعاشة إلى واقعه فراح يحاول العودة من حيث أتى، وبزلّة من قدمه المرتجفة سقط على الأرض، وراح يصرخ من الألم والحزن معًا.

سمع حامد صراخ أريج فاندفع مسرعًا لنجدته، وما إن رآه حتّى حمله ومضى به إلى الطّبيب، حيث تفحّصه، ثمّ عالج كسرًا صغيرًا في ساقه. عاد بعدها حامد وولده إلى البيت، هناك وبعد أن اطمأنّ الجميع إلى سلامة الصّبيّ الّذي لزم الفراش، تقدّمت عبير الملهوفة على أخيها الحبيب، وانحنت تلمس وجهه بحنان بريء، وتطبع قبلة على جبينه العريض، ثمّ ترفع رأسها تاركة دمعتين ترقرقتا من مقلتيها الحانيتين، تسيلان على وجه أريج لتمحُوَا كلّ أثر للغيرة الّتي كانت تملك عليه لبّه.

وتماثل أريج للشّفاء، وتبدّد ذلك الشرود، ولم يعد في حياة الأسرة ما ينغّص عيشها أو يكدّر صفو سعادتها.

استثمار القصّة

١- أكتب أسماء شخصيّات القصّة متدرّجة بحسب أهمّيّتها.

.....

.....

٢- ما الأمر الّذي كان يقلق أبوي "أريج"؟

.....

.....

٣- متى يكون الصّيد محلّلاً، برأي عبير؟ هل توافقها هذا الرّأي؟

.....

.....

٤- أذكر ثلاثة أعمال جيّدة قام بها أريج.

.....

.....

٥- كيف تأكّد أريج من محبّة أخته له؟

.....

.....

٦- أكتب فقرة تبيّن فيها منافع الطّيور والفراشات.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

منشورات

المجلس المذهبي لطائفة الموحّدين الدروز

اللجنة الدينيّة

من سلسلة "قصص مفيدة"

١- إنّ للعالم خالقاً

٢- المظاهر الخادعة

٣- عدل الخالق

٤- الملك وابنه

٥- شرود أريج

منشورات
المجلس المذهبي لطائفة الموحّدين الدروز
اللجنة الدينيّة

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©